الكرة ورأس الرجل

محمد حافظ رجب

قال الرجل الذى بلا رأس ..
للشـــرطى الواقف خلف ســـور الملعب :

ـ هل لك أن تساعدنى يا سيدى الشـــرطى . . لأســـترد رأسى التى يلعبون بها داخل الملعب ؟

.... ومد الشرطى يده له ..
ليتعلق بها قائلا :

ـ هيا بنـا .. لنرى ما يمكننا عمله .

... المجلة التى أكتب فيها لم تعد موجودة ..

تركها الناس الذين كانوا السبب فى وجودها ..

.. ساروا فى صفوف طويلة.. نحو الـكوبرى .. يعبرونه .. ثم يعثرون على الملعب ..

.. هنـاك يشترون بثمن المجلة .. تذاكر مباراة كرة القدم ..

.. فى البداية قال رئيس التحرير لنا :

ـ عدد النسخ المباعة تقل كل يوم..

.. رد عليه محرر سمين.. له لسان طويل .. ويدخن نوعا من السجائر له رائحة تثير الاشمئزاز والتفكير فى وقت واحد .. قال :

ـ لكن عدد تذاكر مباراة كرة القدم .. يزيد .. وهذا هو المهم ..

عبس وجه رئيس التحرير .. زمجر ثم أجاب فى حزم :

ـ ولو ! لا يهم .

.. ولم يبق الا أنا ورئيس التحرير العنيد ..

كان فوق عينيه نظارة بيضاء.. وأنا البس أخرى .

.. يبدو أن هناك سببا ما يربط بين العناد والنظارات الطبية !

..وتركنا المحررون الذين لايتعاملون مع النظـارات .. وسـبقهم المحـرر (سليط اللسان) أصبح معلقا رياضيا.

.. ومع ذلك كان يزورنا بين الحين والحين ..

... فى مخه الآن سيجار ..
فى عروة الجاكتة قرنفلة حمراء ..
صاح فينا عندما رآنا :

ـ ياه ! لشد ما أصبحتما كالماعز ·

·· تحسست جلدى ·· فتبينت أنه قد أصبح خشنا ··

وتطلعت الى رئيس التحرير فنظر الى بغضب وقال :

ـ لماذا تنظر الى هكذا ؟ هه ؟·· ماء ·· ماء ·

وتبينت أخيرا أنه يشبه معزة حقيقية·

·· ووجدنا أنفسنا ذات يوم ·· ونحن جالسان فوق برميل قديم ·· مكان المطبعة التى بعناها ··

قال رئيس التحرير :

ـ لا تبتئس ·· سأعاود النضال من جديد ·· امسح نظارتك ·· سأذهب من فورى وأخترع شيئا ·· وساجمع نقودا ·· وأصدر بها المجلة ·· وانت ماذا ستفعل ؟

وقبل أن أرد هبط علينا زميلنا السمين · ·قال :

ـ لماذا تقفان هكذا ؟

وعرف الأمر ··

قال لرئيس التحرير وهو يضحك ويدخل أنفه فى جيوب القرنفلة :

ـ يمكننى أن أجد لك عملا ·

قال رئيس التحرير وهو يحس بلسعة الاهانة :

ـ ماذا تشغلنى ؟

قال وقد اختفى أنفه داخل القرنفلة:

ـ تحمل كرة الفريق ·· وتحرس ملابسهم !

··· زمجر رئيس التحرير ·· ومد يده بسرعة وتناول القرنفلة وبداخلها أنف المعلق الرياضى والقى بها على الأرض وسحقها بحذائه .

·· صرخ المعلق :

ـ انتظر ·· انتظر ·· أنت تدهس أنفى بحذائك ·

قال رئيس التحرير :

ـ أحسن !

ونظر الى وقال :

ـ وداعا ·· أنا ذاهب لأجمع النقود ·· سأرسل لك نموذجا من اختراعى على عنوانك والى اللقاء ··

وانصرف ··

·· تناول المعلق الرياضى أنفه المهشم من الأرض وأعاده الى مكانه ·· وقال ضاحكا وهو يضع ذراعه حول كتفى :

ـ لقد أصبح شرسا ·· أما أنت ·· فانا احبك ·· وعندى شىء لك ·· خذ ·· أهه ·

·· ومنحنى تذكرة مجانية لمشاهدة مباراة ستقام اليوم ·· قال :

ـ انها أهم مباراة فى هذا الموسم ·· اذهب لتراها ·

وأخرج من فمه السيجار الذى لم يشعله بعد ·· وأدخله فى فمى :

ـ وخذ هذا أيضا ـ اشعله فى الملعب··انه من لوازم مشاهدة مباريات كرة القدم ·· والى اللقاء ··

وانصرف ···

وقررت أن أذهب على الفور ··

··· تبينت أن تذكرتى تسمح لى بالجلوس بين الناس الذين كانوا منذ زمن يشترون مجلتنا .

·· كانوا وقتها معجبون برأسى ·· لكن ملامح وجوههم الآن تؤكد لى أن اعجابهم تحول عن رأسى مسافة لا شك انها طويلة ·

.. فجأة دخل لاعبو احد الفريقين يحملون الكرة .

.. ولم تكد عيون الآلاف ترمقهما حتى قاموا صائحين فى جنـــون ... وتحسست فى تلك اللحظة رأسى ..

.. رحت أقارن بينها وبين الكرة : الكرة مستديرة .. ورأسى هى الأخرى مستديرة .

.. ولـــكن كل هؤلاء النـــاس المتحمسين- حتى سور الملعب .. يهتمون بالكرة اكثر من رأسى ..

.. ورحت أفكر فى المسألة من كل أبعادها .. والناس من حولى يقومون ثم يقعـدون .. ويصرخون .. ويعاودون الصمت من جديد .

.. وأخيرا جـدا تبينت أنى لســت موجودا .. وبالتالى فرأسى هى الأخرى غير موجودة .. ولأننى غير موجود .. فقد مد رجل خلفى يده وشد شعرة من رأسى من فرط الحماس ليس الا! فالتفت ورائى مندهشـا فقال وهو يســتعد للصراخ :

ـ معذرة .. حسبت رأسك معلقة فى فراغ .

قلت وأنا أرغب فى محادثته :

ـ انها كذلك .. ولكنها تســتحق الاعجاب أيضا .

.. لكنه لم يرد .. قفز الى أعلى وصرخ : « جون ! »

.. أدركت أن الامر يحتاج الى دفاع عن رأسى : فنتيجة لقراءة مئات الكتب أصـبحت رأسى مســتديرة .. ولذلك أغرمت بها .. وعلى اذن أن أنقل اعجاب كل هؤلاء اليها .. يجب أن أبين لهم الفرق بين رأسى والـكرة .. وأيهمـا يستحق الاعجاب أكثر ..

.. قمت واقفا .. فصـاحت ألف حنجرة : اقعد .. اقعد .

.. رفعت يدى اليهم : ولكن يجب أن أنزل لأحدثكم بالأمر .

ـ يبى .. يبى .. ابعد قدمك .. اجلس عندك .. يبى .. يبى ..

..وقدماى تفسحان لنفسهما مكانا بين آلاف الأقدام .. وصيحات الازدراء

... حول المدرج .. وجدت الجنود يقفـون فى دائرة مذهولة تحملق فى الكرة .

.. اقتربت من جنـــدى غارق فى الدهشة :

ـ هل تسمح لى بالنزول الى أرض الملعب لأمر مهم ؟

قال الجندى متمتما :

ـ تفضـــل اشرب شاى .. اعتبر نفسك فى بيتك .

شكرته وسرت ..

.. فى هذه اللحظة صاح جنـــدى (ليس مذهولا) : امسكوه .

.. ورأيت أكثر من جندى يسرعون نحوى .. وقعت فى « كورنر » .. لكن الحظ تدخل : جرى لاعب بالكرة .. وأودعها الشباك .. عندئذ فتحت آلاف الحناجر أبوابها..وأخرجت كل ماتجمع من الغاز الناتج من عمليـة الاحتراق الشـديد ... وتوقف الجنود مكانهم وراحوا يطردون الغاز خارج الملعب ..

أصبحت حرا .. على اذن أن أتقدم الآن بشجاعة .. لـكن .. اللاعبـون يعانقون بعضهم .. رأيت بعضهم يبكى .. وصفر الحكم : ليكفوا عن البكاء ..

.. الآن تهيـأوا للعب .. هـــذه لحظتى ..

.. تقدمت الى منتصف الملعب ..
رفعت يدى أمام كل هؤلاء الناس :

ـ هاه .. انتم ، كفوا عن الصياح .. استمعوا الى قليلا ..

.. لكنهم لم يستمعوا .. ظلوا يصيحون : فيها جون .. فيها جون .

..الجون يجب ألا يعطلنى عن الحديث اليهم .. صحت بأعلى صوتى مرة أخرى وأنا أحاول أن أغطى صيحاتهم :

ـ أريد أن أتكلم قليلا معكم .

.. فى هذه اللحظة سمعت صفيرا حادا .. هز رأسى .. فرفعت أصبعى أشير اليها :

ـ انتظروا قليلا .. انها هى الاخرى مستديرة .. ولو لعبت بها أمامكم لتغيرت نظرتكم .

... التقطت أنفاسى .. وأخرجت منديلى لأمسح عرقى .. لكنى لمحت جنديين يسرعان نحوى .. التفت الى الناحية الاخرى .. وجدت الحكم ـ من بعيد ـ يشير الى ..

.. تركت أنفاسى تتبعثر..وأدخلت المنديل فى جيبى .. وأسرعت أبتعد بقدر ما أستطيع عن متناول يدى الجنديين ..

.. أصبحت فى نطاق دائرة الكرة .

.. هناك لحظات يجب على الانسان أن يقرر فيها مصيره بسرعة .

قررت أن أحتمي بها ..

... صحت فى الحكم .. والجنديين .. وآلاف الحناجر :

ـ انتظروا قليلا .. سأعرض عليكم قضيتى .. عليكم أن تختاروا بين رأسى وبينها .. كل ما أريده أن تكون لكم فرصة لتجربتها .

.. صاحت وجوه كثيرة غاضبة :

ـ اخرجوه .. اخرجوه .

.. وتهيأوا للنزول الى أرض الملعب: سنخرجه بأيدينا .

.. صاح الحكم : اخرجوه .. والا فسخوه بأيديكم .

.. المسألة الآن محصورة فى كيفية الهروب من الشبكة : الجنود يقتربون فى حركة كماشة .. ازددت بعدا عنهم .. أصبحت داخل أقدام اللاعبين ...

صفر الحكم :

ـ اقذفوا به من فوق السور .. والا ذهبت الى بيتنا .

... أصبحت وحدى تماما : عقولنا قادرة فى بعض الاحيان على صنع الدهشة .. أمسكت بالكرة .. عانقتها .. نمت فوقها .

.. فى هذه اللحظة الحاسمة .. تبينت أنى أمسكت بزمام القوى ..

.. صفر الحكم .. اتجه نحوى .. رفع مساعداه العلمين .. اتجها نحوى .

.. التف اللاعبون حولى ... وصل الجنود .. وبعض الناس الغاضبين .. أحاطوا بى .

.. رفعت عينى فى عيونهم وجدتهم يبتسمون .

.. عرفت لماذا .. لأنى أحملها فى يدى .

قال الحكم : هات الكرة لنكمل المباراة .

قلت له : استمعوا الى أولا .

قال الحكم : ماذا تريد أن تقول .. عجل .

قلت : لا تتعجلنى .. الميزان فى يدى .

قال لاعب : دعه يقول ماذا يريد .

قلت : يجب أن تعـودوا ـ أولا ـ وتشتروا المجله ٠

٠٠ فى هذه اللحظة صاح صـوت غبى كعجل البحر :

ـ أهو أنت ؟ ٠٠ لقد عطلتنا ٠٠ أنت تقوم بحركة تخريب مقصودة رسمها لك رئيس التحرير بلا شك ـ هات تذكرتى ٠

٠٠٠ نظرت اليه ٠٠ وجدته المحرر الذى استقال من مجلتنا ٠

قلت : اسكت أنت ٠٠ كل سيجارك واصمت ٠

٠٠ استمع الى نصيحتى على الفور : بدأ يأكل سيجاره فى صمت ٠

قال الحكم : وماذا تريد ثانيا ؟

قلت : رأسى ٠

وقبل أن أكمل كلامى صاح رجل من المدرجات ٠

علقوها فوق المدرجات ٠

صحت فيه : لو فعلتم ٠٠ أنا الآخر سأخنقها ٠

وأشرت الى الكرة ٠

قال الحكم : لا تهتم به ٠٠٠ مالها رأسك ٠٠

٠٠ لـكن الحناجر عادت تصرخ من فوق المدرجات ٠٠ فاطبقت أصابعى على الكرة بتشنج ٠٠ قلت له :

ـ دعنى أخاطبهم ..

قال : افعل ما تريد .. ولننتهى .. نحن نريد الكرة فقط لنكمل المباراة .

قلت له : يجب أن أقنعهم بها .. يجب أن أقنعهم .. فقط لو يمكنوننى من الكلام .

.. صحت أمام الجماهير : دقيقة واحدة من فضلكم .

.. تعالى الصفير .. غطى على صوتى .. وعدت أقول :

ـ أردت أن أقول لكم ..أن رأسى تساوى هذه الكرة .. لو تجربونها مرة .. جربوها مرة .

صاح الناس : اخرجوه .. اخرجوه .. نريد الكرة .. نريد الكرة .. أعيدوا اللعب ..

.. ووجدت فى عيونهم الشر .

.. جريت بالكرة .. اتجهت الى رئيس أحد الفريقين :

ـ حاول أن تجرب رأسى بدلا منها .. أؤكد لك أن فريقك سيفوز .. فقط جربها .. هز رأسه رافضا وابتسم .

.. جريت الى رئيس الفريق الثانى :

ـ وأنت ؟ حاول أن تكون أكثر ذكاء منه أؤكد لك ان الحظ سيكون معك

صاح لاعب متحمس :

ـ لماذا لا تجربها ؟

قال رئيس الفريق : لست أدرى .

ـ هاتها ..

.. وأخذها .. واندفع نحو الملعب .. وابتسمت وأنا أضع الكرة مكانها فوق عنقى .

ـ جون ... جون .

... وارتفعت صيحات الآلاف تثقب سور الملعب .. فدخل الواقفون خارج السور بلا تذاكر .

.... رأسى مع فريق اللاعب الذى اختارها .

.... الفريق فاز حتى الآن بأربعة أهداف .

....اصطدمت رأسى بشباك الفريق الآخر الذى رفض اللعب بها .. فانتزعها حارس المرمى من الشباك بغيظ .. انتزع بأصابعه شعيرات من رأسى تساقطت .. فصررت على أسنانى من الألم .

.. ولكن أحد اللاعبين صوب رمية عنيفة أصابت مخى تماما فتناثرت محتوياته ورأيت أوراق الكتب العديدة التى قرأتها تتطاير فى الهواء ..

صحت : أوقفوا المباراة .. أوقفوا المباراة .. أوراقى تطير فى الهواء ..

وأسرعت أجمعها وأضعها فى جيبى .

..انتزعت جسدى بصعوبة من تحت أكوام الورق .. فوجدت نفسى راقدا فوق أرض الملعب والدماء تنزف منى : شاط لاعبان الكرة مرة واحدة .. فسال الدم من جبهتى .. وأخرجت منديلى ومسحته وتوجهت خارج الملعب.

ـ هل لك أن تساعدنى يا سيدى الشرطى لأسترد رأسى ؟

.. لكننا عندما عدنا معا وجدت العشرات من الناس يحملون لاعبا يرفع رأسى بين كفيه ملوحا بها لهم .. فيصرخون فى جنون ..

..قال الشرطى لى :

ـ ماذا ستفعل ؟ رأسك مع الفريق الفائز ؟

قلت له :

ـ فى الحقيقة أنا أشعر بالسرور .. لقد أثبت لهم أن رأسى فى امكانها أن تقف مع الكرة وهكذا يكفى .